(٩٤)

الصفح الأكبر

النبى : أيهـا النـاس.. إن الله قـد حرم مكة يوم خلق السـموات والأرض، ويوم خلق الشمس والقمر، ووضع هذين الجبلين، فهى حرام [redacted] لمؤمن بالله واليوم الآخـر أن يسفك فـ[redacted]ها شجرًا، لم تحل لأحد كان قبلـى [redacted]، ولم تحل لى إلا سـاعة مـن نهار، [redacted]الأمس، فليبلغ شـاهدكم غائبكم.

ابن الزبعرى : أى رسـول الله! شـهدت أن لا إلـه إلاّ الله وأنـك عبـده ورسوله.

النبى : الحمد لله الذى هداك للإسـلام، إن الإسلام يجب ما كان قبله.

* * *

obeikandl.com

«دار سـهيل بن عمرو بمكة، وقد رمى بنفسه فيها وأغلق بابها عليه طلبًا للأمان.. ولكن يسائل نفسه هل يشمله الأمان الذى أعطاه محمد؟! إنه يقـال إن هذا الأمان لا يسـرى على نفرٍ حددهم رسـول الله بالاسـم، وأهدر دمهم لما سلف منهم من صد شـديد عن سبيل الله، ومن إيذاء لرسوله والمسـلمين! وإن سـهيلا ليذكر ما سلف منه من صد وإيـذاء.. يذكر فيما يذكر مـا لاقاه به يوم الحديبية من شـر ونكير، وما أوغل فيه بعدًا عن الحـق والإنصاف فى المكاتبة لعهد الصلح.. وإنه ليذكـر أنه كان مع قريش فـى كل كرّاتها على الإسـلام ورسوله.. حضر معها فى بدر وأحد ولم يتخلف عن كل ما تحركت فيه قريش!!..أترى يصفح النبـى عنه؟!.. وإنه لفـى هذه الخواطر التـى أخذت عليه نفسـه، يبعث فى طلب ابنه عبد الله بن سهيل..».

عبد الله بن سهيل : (وهو يدخل) لبيك يا أبتاه..

سهيل بن عمرو : أردتك أن تطلب لى جوارًا من محمد..

عبد الله بن سهيل : ألست آمنًا فى دارك؟!

سهيل بن عمرو : كان منى ضده ما قد علمت، لو أهدر دمى ما جاوز الحق!.. (يستأنف) اذهب إليه يا ولدى فاطلب لى جوارًا منه..

عبد الله بن سهيل : (وهو ينصرف) أفعل يا أبتاه.

* * *

«خبـاء رســول الله – صلى الله عليه وسلم – يستأذن عليه عبد الله بن سهيل بن عمرو..».

النبى : ما جاء بك يا عبد الله؟

عبد الله بن سهيل : جئتك فى شــأن أبى ســهيل!.. (يســتأنف سائلا) تؤمنه يا رسول الله ؟

النبى : نعم، هو آمن بأمان الله، فليظهر!

(يســتأنف لمن حوله) من لقى ســهيل بن عمرو فلا يشــد النظر إليه، فليخـرج، فلعمرى إن ســهيلا له عقل وشــرف، وما مثل ســهيل جهل الإسلام، ولقد رأى ما كان يوضع فيه أنه لم يكن له بنافع!

«عبد الله بـن ســهيل ينصـرف فرحـًا وهو لا يكاد يصدق ما بذله النبى – عليه الســلام – من عفو وإسماح..».

* * *

«دار سهيل بن عمـرو.. يدخل عليه ابنه عبد الله وهو يكاد يطير من الفرح..».

عبد الله بن سهيل : أبشر يا أبتاه..

سهيل بن عمرو : ما وراءك؟

عبد الله بن سهيل : أمّنك رسول الله، وقال للناس من لاقى سهيل بن عمرو فلا يشــد النظر إليه.. فلعمرى إن سهيلا له عقل وشرف، وما مثل سهيل يجهل الإسلام.. (يستأنف بعد برهة) وقال إنك قد رأيت أنه لم يكن بنافع ما كنت تضع ضد الإسلام! وأكد للناس أنه أعطاك الأمان وأنك آمن بأمان الله، فلتظهر!

سهيل بن عمرو : كان والله برًا، صغيرًا وكبيرًا!

* * *

«مكة، بعد يومين من الفتح.. النبى – عليه السلام – جالس إليه عمه العباس بن عبد المطلب وبعض الصحابة..»

النبى : (للعباس) أين ابنا أخيك عتبة ومعتب ابنا أبى لهب؟ لا أراهما؟!

العباس : تنحيا فيمن تنحى من مشركى قريش.

النبى : ائتنى بهما.

العباس : أفعل إن شاء الله.

«ينصرف العباس... »

* * *

«نفس المكان بعد ساعة، يقدم العباس وفى صحبته عتبة ومعتب ابنا أبى لهب.. إنهما يكادان يتواريان خجلا من رسول الله.. إن عتبة وشقيقه عتيبة الذى أكلته الضوارى قد سمعا لأبيهما أبى لهب فى بداية الدعوة فطلقا ابنتى الرحمة المهداة، وها هى الأيام قد أدبرت، وانقلبت الموازين.. لقد أغلق عتبة وأخوه معتب عليهما بابهما طلبًا للأمان، ولكن ها هو رسول الله يطلبهما ويبعث إليهما بعمه العباس.. ما أبره عليه السلام وأكرمه.. إن حنوّه عليه السلام يزيل ما بهما من رهبة وإشفاق، تتغشاهما أنوار

النبوة، فينعطف قلباهما إلى الإسلام، ويشهدان الشهادة ويبايعان رسول الله صلى الله عليه وسلم..».

«النبى – عليه السلام – يأخذ بأيديهما وينطلق بهما حتى أتى الملتزم، فأخذ يدعو هناك ساعة والعباس والمسلمون يرقبون.. ».

* * *

«النبى – عليه السلام – عائد، يلحظ الصحابة ما على محياه من بشر وسرور تنطق بهما أسارير وجهه..».

العباس : (مبتدرًا) يا رسول الله سرك الله. إنى أرى السرور فى وجهك!

النبى : إنى استوهبت ابنى عمى هذين من ربى فوهبهما لى.

* * *

«النبى – عليه السلام – على مقربة من قبته التى ضربت له بالحجون، يشفق بعض المسلمين على النبى – عليه السلام – من أن يقيم ببلده بهذه القبة وله بمكة دار أخرجه المشركون منها..».

أبو رافع : (مشفقًا) ألا تنزل منزلك من الشعب يا رسول الله؟

النبى : وهل ترك لنا عقيل منزلا؟!

بعض الصحابة : فانزل ببعض بيوت مكة فى غير منزلك!

النبى : لا أدخل البيوت!

«يرين صمت ثقيل.. يشفق الصحابة من زيادة شجون الرحمة المهداة..».

«الحارث بن هشام لا يستقر فى كفره وهروبه علـى حال يتحـين الفرص لاسـتطلاع الأنباء.. يلـم ومعه عبـدالله بن أبى ربيعة بـدار أم هانئ بنـت أبى طالـب.. فيعلمان بأن رسـول الله قد أجاز جوارها لمن استجار بها.. الحارث ينصرف مـع عبدالله بن أبى ربيعـة وقد ملأت الطمأنينة حناياه بما سمع فـى بيت أم هانئ عن بر وعفو الرحمة المهداة..».

* * *

«دار الحارث بن هشـام بمكة.. الحارث فى ملاءة مورّسة (مزعفرة) جالس بفناء الدار مع بعض صحبـه.. لا يعرض لهم أحد.. لا يشـعرون إلاّ بعمر بن الخطاب يمر بهم فى عدة من المسلمين، فيتوجسـون خيفة مما يتسـامعه الناس عن شدة عمر، ولكن ما باله قد سلم عليهم ومضى؟!».

«بالدار بعد أن أرخى الليل سدوله، الحارث خال إلى نفسـه يدير أفكاره فى رأسـه، يستحى مما كان قد فعله إزاء رسول الله فى المواطن التى خاضها ضده، ومع هذا فإنه بأمان محمد – آمن الآن فـى داره، لا يعـرض له أحـد.. لا يخلد الحارث إلى النوم إلاّ وقد أزمع أمرًا..».

* * *

«صحـــن الكعبة فى صباح اليوم التالى.. النبى عليه الســـلام فـــى صحابته، يأتـــى الحارث بن هشام فيلقى السلام..».

الحارث بن هشام : جئت أشهـد يـا رسـول الله، أنه لا إله إلاّ الله وأنك رسول الله..

النبى : (فـــى سماحة) الحمد لله الذى هداك، ما كان مثلك يجهل الإسلام!

الحارث : (يتمتم لنفسه) والله ما رأيت مثل الإسلام جُهل!

* * *

«مكة، تحت جنح الليل، عبد الله بن ســعد بن أبى ســرح يتسلل متخفيًا بالظلام ينشد منزل عثمـــان بن عفـــان أخيه فى الرضـــاع.. يريـد أن يستجير به مما يعرف أنه لا بد أن يكون مصيره بعـــد أن كفر وشـــرد بعـــد إيمان، وكيـــف قابل الإحسان بالإساءة!.. قد كرمه النبى عليه السلام يوم آمن وأســـلم وجعله من كتاب الوحى، فأراد أن يلتـــوى فى كتابة ما يمليه الرســـول عليه من القرآن، وافتتن فأخذ يقول: «إن كان محمد نبيًا يوحـــى إليه فأنا نبى يوحـــى إلىّ!!».. ولم يجد بـــدًّا بعد أن بلغ المدى فى الافتتان والإســـاءة من أن يرتد ويهرب إلى مكـــة، وأخذ من هناك يكيد للإســـلام ورسوله، ويشـــن عليهما حربًا لا هوادة فيهـــا!.. وإنه ليعلـــم أن إهدار دمه الآن أقل مما

يستحقه، فكيف النجاة؟!.. لم يعد أمامه سوى أن يستجير بعثمان بن عفان أخيه فى الرضاعة.. إن النبى – عليه السلام – يكبره، ويؤثره ويقربه.. لا نجاة له إذن إن لم يجره عثمان!!

* * *

«منزل عثمان بن عفان بمكة، وقد استأذن عليه عبدالله بن سعد بن أبى سرح..».

عبدالله بن سعد : يا أخى، إنى والله اخترتك فاحتبسنى ها هنا، واذهب إلى محمد فكلمه فىّ.. فإن محمدًا إن رآنى ضرب الذى فيه عيناى، إن جرمى أعظم الجرم!

عثمان بن عفان : تعرف إذن؟!!

عبدالله بن سعد : قد جئت تائبًا. فاذهب يا أخى إلى محمد واستأمنه لى قبل أن يضرب عنقى!

عثمان : بل تذهب معى.

عبد الله بن سعد : والله لئن رآنى ليضربن عنقى ولا يناظرنى، وقد أهدر دمى، وأصحابه يطلبوننى فى كل موضع!

عثمان : بل تذهب معى إن شاء الله!

«عثمان بن عفان يأخذ بيد عبد الله بن سعد ابن أبى سرح ويمم به شطر الرحمة المهداة.. ».

* * *

«النبى – عليه السلام – بمجلسه وسط صحابته، يطلع عليه عثمان بن عفان آخذ بيد عبد الله بن سعد.. ما إن يراه النبى – عليه

السلام – حتى يعرض ويشيح بوجهه!»

عثمان بن عفان : (مستعطفًا) يا رسول الله، إن أمه كانت تحملنى وتمشّيه، وترضعنى وتقطعه، وكانت تلطفنى وتتركه، فهبه لى..

«النبى – عليه السلام – يعرض عنه، وعثمان يلتف كلما أعرض – عليه السلام – بوجهه ليستقبله ويعيد عليه الرجاء».

عثمان بن عفان : (وهو ينكب على رأس النبى يقبله) يا رسول الله، تبايعه فداك أبى وأمى!

النبى : نعم.

«عبد الله بن سعد بن أبى سرح يطير إلى النبى عليه السلام فيأخذ يد النبى الممدودة بالسلام ويبايع لا يكاد يصدق أن الرحمة المهداة قد غفر له ما كان!».

* * *

«بعد أيام.. النبى – عليه السلام – فى صحابته وفيهم عثمان بن عفان..»

عثمان بن عفان : (للنبى) بأبى أنت وأمى.. لو ترى ابن أم عبد الله بن سعد.

النبى : ما باله؟!

عثمان بن عفان : يفر منك كلما رآك!

النبى : (متبسمًا) أو لم أبايعه وأؤمّنه؟!

عثمان : بلى أى رسـول الله! ولكنه يتذكر عظيم جرمه فى الإسلام فيستحى منك!

النبى : الإسلام يجب ما كان قبله.

* * *

«مكـة وقد مضى على يوم الفتـح أيام قليلة.. يتصايـح الناس بأن خراش بـن أميـة الكعبى من خزاعة قد عدا فضرب بسـيفه جُنيدِب بن الأدلع من هذيل فقتله ثأرًا لقتله سلفًا «أحمر بأسًا» الذى اغتاله غدرًا فى غارة شنهـا ضمـن غـزاة من هذيل على حىّ «أحمر بأسًا».. يتصايح الناس..».

المتصايحون : فعلتموها يا معشر خزاعة؟!.. فعلتموها يا معشر خزاعة!

«النبى – عليه السلام – بالكعبة، يبلغه الخبر، فينهض خطيبًا فى المسلمين وأهل مكة..».

النبى : أيهـا النـاس.. إن الله قـد حرم مكة يوم خلق السـموات والأرض، ويوم خلق الشمس والقمر، ووضع هذين الجبلين، فهى حرام إلى يوم القيامة ولا يحل لمؤمن بالله واليوم الآخـر أن يسفك فيها دمًا، ولا يعضد فيها شجرًا، لم تحل لأحد كان قبلى، ولا تحل لأحد بعدى، ولم تحل لى إلا سـاعة مـن نهار، ثم رجعت كحرمتها بالأمس، فليبلغ شـاهدكم غائبكم، فإن قال قائل: قد قاتل فيها رسـول الله فقولوا: إن الله قد أحلها لرسوله ولم يحلها لكم يا معشر خزاعـة، ارفعـوا أيديكـم عـن القتل، فقـد والله كثر إن نفع، وقد قتلتـم هذا القتيـل، والله لأدينه! فمن قتل بعد مقامى هذا فأهله بالخيار، إن شاءوا فدم قتيلهم، وإن شاءوا فعقله.

«المسلمون يحيطون بالنبى – عليه السلام – وقد اهتاجت نفوسهم للحادث وراعهم غضب النبى – عليه السلام – لقتل كافر!».

النبى : (لائمًا) ألم أنه عن القتل؟!

البعض : قتله من قتله ثأرًا لقتله «أحمر بأسًا»!

النبى : (وقد علاه الغضب) لو كنت قاتلا مؤمنًا بكافر لقتلت خراشاً.. (ينادى فى الناس) يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل، لقد قتلتم قتيلاً فوالله لأدِيَنَّه (أدفع ديته)..

«تتسامع خزاعة بما أمر به النبى – عليه السلام – فتسارع إلى إخراج مائة ناقة ديةً فى أول قتيل وداه رسول الله..»

* * *

«الكعبة، والنبى – عليه السلام – وسط الصحابة والمسلمين.. يقدم إليه عُمَيْر بن وهب متشفعًا..».

عُمَير بن وهب : يا نبى الله، إن صفوان بن أمية سيد قومى وقد خرج هاربًا منك ليقذف نفسه فى البحر!.. خاف ألاّ تؤمّنه! (يستأنف راجيًا) فأمّنه فداك أبى وأمى!

النبى : (فى سماحة) هو آمن..

«عُمير بن وهب يطير فرحًا، ويسارع بالانصراف ناشدًا اللحاق بصفوان بن أمية..».

* * *

«الشعيبة: مرفأ للسفن من ساحل بحر الحجاز مقابل مكة.. صفوان بن أمية قابع ومعه غلامه يسار ينتظر سفينة يبحر بها.. يلمح فيما وراء الأفق قادمًا من بعيد..».

صفوان بن أمية : (لغلامه) ويحك!! انظر من ترى!

«يسار يتجه إلى ناحية القادم.. يتملى برهة ويعود إلى صفوان..»

يسار : (لسيده صفوان) هذا عُمَيْر بن وهب.

صفوان : ما أصنع بعمير؟.. (متخوفاً) والله ما جاء إلاّ يريد قتلى! (يستأنف آسيًا) قد ظاهر محمدًا علىّ!!

«عُمير بن وهب وقد دنا واطلع على صفوان..»

صفوان : (مبتدرًا) يا عُمير، أما كفاك ما صنعت بى؟! حملتنى دينك وعيالك ثم جئت تريد قتلى؟!

عُمير بن وهب : يا أبا وهب، جعلت فداك!.. (يستأنف) جئتك من عند أبر الناس، وأوصل الناس.. فداك أبى وأمى. الله الله فى نفسك أن تهلكها.. هذا أمان من رسول الله قد جئتك به!

صفوان : (ولم يزايله خوفه) ويحك! أغرب عنى فلا تكلمنى.

عُمير : أى صفوان فداك أبى وأمى. أفضل الناس وأبر الناس وخير الناس! ابن عمك.. عزه عزك، وشرفه شرفك، وملكه ملكك!

صفوان : (متخوفًا) إنى أخافه على نفسى!

عُمير : هو أحلم من ذلك وأكرم..

صفوان : لا أرجع معك حتى تأتينى بعلامة نعرفها.

عُمير : امكث مكانك حتى آتيك بها..

«عُمير بن وهـــب يتركـه وينصرف راجعًا إلى مكة..».

* * *

«النبى – عليه الســلام – بالكعبة ومن حوله الصحابة والمســلمون.. يلحق بهم عُمير بن وهب وعليه وعثاء السفر..».

عُمير بن وهب : (للنبى) يا نبى الله، إن صفوان أبى أن يأنس لى حتى يرى منك أمارة يعرفها!

النبى : (وهو ينزع عمامته) خذ عمامتى. (يناوله إياها)

«عُمير بن وهب ينطلق لا تسعه الفـرحة..».

* * *

«الشــعيبة علـى ســاحل البحــر.. عُمير بـن وهب يوافى صفوان بن أمية فى مكمنه..».

عُمير بن وهب : (فرحًا) هذه عمامة رسول الله، أعطانيها أمارةً لك. قد بعث ببرده الذى دخل به مكة معتجرًا بـه.. (يستأنف) تعرفه؟

صفوان بن أمية : نعم، هو هو!

عُمير : ألم أقــل لك؟! إنه خير الناس وأوصل الناس وأبر الناس.. مجده مجدك!

* * *

«الكعبــة، والنبــى – عليه الســلام – يصلى العصر بالمســلمين، يصل صفوان بــن أمية رفقة

عمير بن وهب.. ينتظر صفوان أمام الكعبة حتى يفرغ النبى – عليه السلام – من الصلاة فيتقدم إليه مترددًا!!».

صفوان بن أمية : (مترددًا) يا محمد، إن عُمَيْر بن وهب جاءنى ببردك، وَزَعَم أنك دعوتنى إلى القدوم عليك، فإن رضيت أمرًا وإلاّ سيرتنى شهرين.. »

النبى : انزل يا أبا وهب.

صفوان : لا والله، حتى تبين لى.

النبى : بل لك تسيير أربعة أشهر..

«صفوان يسارع بالنزول.. لا يكاد يصدق أنه آمن رغم بقائه على كفره، وأن الرحمة المهداة قد أمهله أربعة أشهر يراجع فيها نفسه!!».

* * *

«بعد أيام من يوم الفتح.. أم حكيم بنت الحارث زوجة عكرمة بن أبى جهل وقد لحقت بزوجها على أطراف اليمن..».

عكرمة بن أبى جهل: عرفتك ذات عقل، فما الذى جاء بك وكيف عرفت طريقك إلى هذه القفار؟!

أم حكيم بنت الحارث: علمت أنك ركبت البحر من ساحل تهامة فاقتفيت أثرك!

عكرمة : أصابتنا فى البحر ريح عاصفة، فجعلنا ننادى على اللات والعزى.

أم حكيم : (مستنكرة) اللات والعزى؟!

عكرمة : أخذ النوتى وأهل السفينة يقولون: أخلصوا فإن آلهتكم هذه لا تغنى عنكم شيئًا.. (يستأنف) قال لى النوتى: أخلصْ، فسألته: أى شىء أقول؟ قال: قل لا إله إلاّ الله.. (يستأنف متعجبًا) غريب أن هذا الأمر تعرفه العرب والعجم حتى النواتىّ!!

أم حكيم : (متمنية) وقلتها؟

عكرمة : قلت له: ما هربت إلاّ من هذا!

أم حكيم : (تتحين الفرصة) لهذا جئتك..

عكرمة : (يردد مستنكرًا) لهذا جئتنى؟!

أم حكيم : يا ابن عم، جئتك من عند أبر الناس، وأوصل الناس، وخير الناس!

عكرمة : (يردد مذهولاً) أبر وأوصل وأخلص الناس؟!

أم حكيم : (تستأنف) لا تهلك نفسك! إنى قد استأمنت لك رسول الله فأمّنك..

عكرمة : تطمئنين إلى أمانه؟

أم حكيم : نعم فداك أبى وأمى.

عكرمة : (وقد لان) وما شأن هذا الغلام الرومى الموثوق؟!

أم حكيم : خرج معى من مكة، ولكنه أخذ فى الطريق يراودنى عن نفسى، فأخذت أمنيه ولا أفعل حتى لحقت بحى من «عكّ» (حى منسوب إلى عكّ بن عدنان) فأخبرتهم خبره واستعنتهم عليه فأوثقوه رباطًا على ما تراه!!

«لا يكاد عكرمة يسمع ما فعل الغلام حتى يهوى عليه فيقتله..».

* * *

«فى بعض الطريق، وقد طال اشـتياق عكرمة إلى زوجـه أم حكيـم.. يدعوهـا إليه فتسـوف وتماطـل على غير ما اعتـادت معه، يطلبها إلى فراشه فتأبى عليه..».

عكرمة : (متعجبًا) ما هذا؟!.. ما عهدتك هكذا تفعلين؟!

أم حكيم : أنت كافر وأنا مسلمة..

عكرمة : (يردد مستنكرًا) كافر وأنت مسلمة؟!

أم حكيم : الإسلام يحول بينى وبينك!

عكرمة : (كالمذهول) إن أمرًا منعك منى لأمر كبير!!

* * *

«مكة.. النبى عليه السلام جالس إليه صحابته فيفجأهم قوله..».

النبى : (لأصحابه) غدًا يأتيكم عكرمة..

بعضهم : (مرددين فى دهشة) عكرمة بن أبى جهل؟!

النبى : يأتيكم مؤمنًا مهاجرًا فلا تسبوا أباه، فإن سب الميت يؤذى الحى ولا يبلغ الميت!

«الصحابة لا يعلقون، ولا يسـتطيعون إخفاء حيرتهـم.. مـا الـذى ذكر رسـول الله بعكرمة ابـن أبى جهـل وهو هارب الآن فـى طريقه إلى اليمن؟!!»

* * *

«بعد يـوم.. النبى عليه السـلام فى خبائه، وقد اسـتأذن عليه عكرمة بـن أبى جهل ومعـه

زوجته.. النبى – عليه السلام – لا يخفى فرحه بما يستبشره من مقدم عكرمة..»

عكرمة : (وهو يشـير إلى زوجته) يا محمد!! إن هذه أخبرتنى أنك منعتنى!

النبى : صَدَقَت ، فأنت آمن..

عكرمة : فإلام تدعو يا محمد؟

النبى : أدعـو إلى أن تشـهد أن لا إله إلاّ الله، وأنى رسـول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة ...

«النبى – عليه السلام – يمضى فيبسط الإسلام لعكرمة وهو مصغ بكل حواسه..».

عكرمة : (وقـد انبهر بما سمـع) والله ما دعـوت إلاّ إلى خير وأمر حسـن جميل.. (يسـتأنف متأثرًا) وقد كنت فينا قبل أن تدعونـا إلى ما دعوتنـا إليه وأنت أصدقنـا حديثًا، وأبرنا برًا.. (يستأنف) وإنى أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأن محمدًا رسول الله..

«يكبر المسلمون وتشيع البسمات..».

عكرمة : يا رسول الله، علمنى خير شىء أقوله بعد الشهادة..

النبى : قل: أشْهد الله وأشهد من حضر أنى مسلم مجاهد مهاجر..

عكرمة : (يـردد) أشـهـد الله وأشـهد من حضر أنى مسـلم مجاهد مهاجر..

«تتعالى تكبيرات المسلمين..».

* * *

«بعد أيام من يوم الفتح.. نجران إلى الجنوب من مكة بشـمال اليمن، وقـد لاذ هبيرة بن أبى

وهــب زوج أم هانـئ بنت أبــى طالب وصاحبه عبد الله بــن الزِّبعْرى بأحد الحصــون فرارًا من أى ملاحقة لهما بعد أن رأيا الإسلام يدخل مكة ففرا إلى الجنوب لا يلويان على شــىء.. لم يهدأ لهما بال حتى دخلا الحصن، فاســتقبلهما أهله مستفسرين..».

أهل الحصن : ما وراءكما؟!

هبيرة وابن الزبعرى : قتلت قريش..

أهل الحصن : (يرددون فى دهشة) قتلت قريش؟!

هبيرة وابن الزبعرى : دخــل محمــد مكة، ونحن والله نرى أن محمدًا ســائر إلى حصنكم هذا!!

«يبــادر أهل الحصن وعلى رأســهم بَلْحارث وكعب ليصلحوا مــا رثّ من حصنهم.. يجمعون الماشية من الرعى فى البقاع المحيطة، ويشونون الأســلحة والأحجار مخافة أن تقتحمهم كتائب الإسلام..».

* * *

«الحصن بعــد أيام.. أحد الركبــان يلجأ إلى الحصن طلبًا للزاد وبعض الراحة.. يلاقى هبيرة وابــن الزبعــرى، فيبادران إلى تحســس الأخبار منه..».

القادم : يتناقل الناس أنكما هربتما وما كان عليكما بأس لو ثبتما بمكة ولم تفرا!!

هبيرة : (ينشد)

لعمرك ما وليت ظهرى محمدًا وأصحابه جنبًا ولا خيفة القتل
ولكنى قلبت أمرى فلم أجد لسيفى غناء إن ضربت ولا نَبْلى

القادم : أطلق حسان بن ثابت فيك شعرًا وفى ابن الزِّبْعرى

ابن الزبعرى : هلا أنشدتنا إياه..

القادم : (ينشد)

لا تَعْدَمَنْ رجلا أحَلَّك بغضُه نجرانَ فى عيش أخَذَّ لئيم
بليت قناتك فى الحروب فَألقيتْ خَوَّارةً خوفاء ذات وُصُوم
غضب الإله على الزبعرى وابنه وعذاب سوءٍ فى الحياة مقيم

«هبيرة وابن الزبعرى يطرقان خجلاً مما يقال عن فرارهما!!».

* * *

«بعد يوم بالحصن، يفاجأ هبيرة بن أبى وهب بصاحبه عبدالله بن الزبعرى يتجهز ويتهيأ للرحيل..».

هبيرة : (فى دهشة) أين تريد يا ابن عم؟!

ابن الزبعرى : أردت والله محمدًا..

هبيرة : (يردد مستنكرًا) محمدًا؟!

ابن الزبعرى : أجل.

هبيرة : أتريد أن تتبعه؟!

ابن الزبعرى : إى والله!

هبيرة : (مغتاظًا) يا ليت أنى رافقت غيرك! ما ظننت أنك تتبع محمدًا أبدًا!!

ابن الزبعرى : هو ذاك.. (يستأنف) فعلى أى شىء نقيم مع بنى الحارث ابن كعب وأترك ابن عمى وخير الناس وأبرهم، ومع قومى وداري؟!

«يمضى ابن الزبعرى مرتحلاً لا يلوى على شىء، وهبيرة لم يفق من ذهوله!!».

* * *

«النبى عليه السلام جالس فى صحابته من المهاجرين والأنصار.. يطلع عليهم ابن الزبعرى.. ما إن يلمحه النبى – صلى الله عليه وسلم – قاصدًا مجلسهم، حتى يبادر أصحابه..».

النبى : (لصحابته) هذا ابن الزبعرى، ومعه وجه فيه نور الإسلام..

«يلتفت الصحابة فيتابعون مقدم ابن الزبعرى حتى وقف بين يدى رسول الله – عليه السلام..».

ابن الزبعرى : السلام عليكم أى رسول الله..

«المسلمون يهللون ويكبرون».

(يستأنف) أى رسول الله! شهدت أن لا إله إلاّ الله وأنك عبده ورسوله..

«تتصاعد تكبيرات المسلمين..».

ابن الزبعرى : (يستأنف) الحمد لله الذى هدانى للإسلام. لقد عاديتك وأجلبت عليك، وركبت الفرس والبعير، ومشيت على قدمى فى عداوتك.. ثم هربت منك إلى نجران وأنا أريد

ألاّ أقرب الإسلام أبدًا، ثم أرادنى الله منه بخير، وألقاه فى قلبـــى وحببه إلىّ، وذكرت ما كنت فيه من الضلالة واتباع ما لا ينفع ذا عقل، من حجر يُعْبد ويُذْبح له، لا يدرى من عبده ومن لا يعبده!!

النبى : الحمد لله الذى هداك للإســـلام، إن الإسلام يجب ما كان قبله..

«ابـــن الزبعـرى يفيـــض وجـــهـه بالبشـــــر بينما يحوطه المسلمون بالود وقد تغشتهم المسـرة وانطلقـت التكبيرات..».